اثر مشروع السلام الدائم الكانطي على الفلسفة الغربية المعاصرة

The impact of the Kanti permanent peace project on contemporary Western philosophy

د.بن ناصر الحاجة

الكلية : علوم الاجتماعية والانسانية – جامعة : ابن خلدون -تيارت -

البلد : الجزائر

البريد الإلكتروني: bennaceurhadja@yahoo.fr

تاريخ الارسال : 2020/ 04/02	تاريخ القبول : 2020/05/15	تاريخ النشر :2020/06/30

ملخص :

إن الحديث عن السلام الكوني وعن الدولة الكوسموبوليتية وما يرافقها من قيم ومبادئ أصبح اليوم ضرورة ملحة لتجاوز النطاق المحلي، والحدود الجغرافية الضيقة للدول وتشريعاتها السياسية المحدودة، والبحث عن دولة تتجاوز الإقليم الواحد إلى تعددية الأقاليم وتتفاعل مع الاختلاف الثقافي والتعدد الحضاري، وتحقيق مشروع السلم الدائم لجميع الشعوب في ظل دستور كوني، تصلح مبادئه لجميع أنحاء المعمورة، والمدينة العالمية لتحقيق مواطن عالمي ينعم بالسلم والأمان المنسجمين مع مفهوم الإنسان كغاية في ذاته لا كوسيلة.

وتجد هذه السياسة وهذا المشروع ضالته في السياسة الكونية ومشروع السلام الدائم لإيمانويل كانط باعتباره المؤسس الشرعي للفلسفة النقدية وللتنوير والحداثة السياسية، بقصد استلهام فلسفته في الحقبة الراهنة كحل للمسائل الخلافية المتعلقة بالسياسة، والحداثة والأخلاق وغيرها. وأهدف في هذا المبحث إلى تقديم خلاصة أفكار إيمانويل كانط حول الدولة الكوسموسياسية، وحول السلام الدائم لرصد الأهمية التي تشغلها

فكرة الكونية الكانطية في الفلسفة المعاصرة فما الذي يعنيه كانط بالسلام الدائم؟ وهل الإنسانية تتوق إلى تحقيق السلم أم أنها مجبولة على العنف والصراع؟ وماهي الشروط الأساسية التي اقترحها كانط لتحقيق تحالف الشعوب ومجتمع الأمم؟

الكلمات المفتاحية: مشروع السلام الدائم، تحالف الشعوب، المواطن العالمي، الاختلاف الثقافي، التعدد الحضاري.

Abstract :

The debate about the universal peace and the cosmopolitan state and its accompanying values and principles has today become an urgent necessity. The need is also to transcend the local scope, the narrow geographical borders of states and their limited political legislation, and search for a state that goes beyond one region to multi-regions and interacts with cultural difference and civilizational diversity. The aim is to install a permanent peace project for all Peoples under a universal constitution, which principles fit all over the world, and the universal city to achieve a universal citizen enjoying peace and security consistent with the concept of man as an end in himself and not as a means.

This policy and this project are found in the universal politics and the permanent peace project of Emmanuel Kant who can be considered as the legitimate founder of critical philosophy, enlightenment and political modernity. The objective is to draw inspiration from his philosophy in order to develop solutions to contentious issues related to politics, modernity, ethics and others for the current era. In this study, I aim to present a summary of Emmanuel Kant's ideas about the

cosmopolitan state, and about permanent peace. This will allow to check the importance that the idea of Kantian universalism occupies in contemporary philosophy. What does Kant mean by permanent peace? Is humanity longing for peace or is it natural for it to go to violence and conflict? What are the basic conditions proposed by Kant to achieve the alliance of peoples and the community of nations?
Key words: Permanent Peace Project, Alliance of Peoples, Universal Citizen, Cultural Diversity, Civilizational Diversity.
Key words: Permanent Peace Project, Alliance of Peoples, Universal Citizen, Cultural Diversity, Civilizational Diversity.

مقدمة :

يعد مشروع السلام الدائم المنشور في كتاب « نحوالسلام الدائم محاولة فلسفية » من أهم كتابات كانط التي لقيت ترحابا من قبل القراء، في الفترة الحديثة إلى يومنا هذا فالكتاب يعبر عن أفكار كانط حول تحقيق سلام عالمي، وموقفه من الحروب، خاصة وأن أوروبا خلال الفترة الحديثة شهدت حروبا داخلية وخارجية، فالسلم أصبح مطمحا بشريا يهدف إليه كل تجمع بشري وكل دولة صغرى كانت أم كبرى والغرض منه وضع حدا للحروب والنزعات والخلافات بين البشر والإرتقاء بالإنسان الى مستوى العالمي وإلى المراتب الأخلاقية العليا. فما الذي يعنيه كانط بالسلام الدائم؟ وما أثر هذا المشروع على الفلسفة الغربية المعاصرة؟

مشروع السلام الدائم الكانطي:

يفتتح كانط كتابه السلام الدائم بعبارة« لا داع للتساؤل عما إذا كانت العبارة الساخرة المنقوشة على لافتة أحد الفنادق الهولندية والتي تمثل

مقبرة، هي موجهة الى عموم الناس، أو على وجه التخصص الى رؤساء الدول ممن لا يرتوي أبدا تعطشهم الى الحرب،أو أنها تعني فقط الفلاسفة ممن يستسلمون إلى هذا الحلم العذب »[1]ومفاد العبارة "نحو سلم أبدي" في نظر كانط هي إرساء السلام على كافة انحاء المعمورة البشرية، ووضع حد للإرادة المماليك والحكام الجامحة في شن الحروب التي أصبحت في نظره تهدد الوجود البشري، فهي حروبا قذرة يتعطش إليها كل حاكم يبتغي الحصول على أكبر قدر ممكن من الربح والثراء على حساب قوم أخرين، ووفق قانون الغاب اي حكم القوي على الضعيف، خاصة في الدول غير الجمهورية « فالحرب هي من أبسط الأمور، لأن رئيس الدولة ليس مواطنا، إنما هو مالك للدولة، فليس في الحرب ما يهدد مائدته أو صيده او قصور متعته أو حفلات بلاطه...الخ. لهذا نراه يستطيع أن يقرر إعلان الحرب بالسهولة نفسها التي يقرر فيها اقامة حفلة ترفيهية ولأسباب تافهة عاهدا هذا الى جهاز الديبلوماسي، بلا مبالاة ان يبتكر المبرر الذي تتطلبه اللياقة السياسة».[2]

ولابد لفكرة السلام الدائم المستوحاة من الشعار المكتوب على لافتة الفندق الهولندي الا تبقى مجرد شعار وفقط، او حلم يتوق اليه كل فيلسوف كحامل لمهمة التنوير، بل ينبغي ان تطبق وتتحقق على ارض الواقع باتخاذ كافة السبل والشروط اللازمة لتحقيقه، ويظهر كانط تفاؤله من امكانية تحقيق هذا المشروع وينقذ النظرة المتشائمة لليبنتزleibniz في نظرته للإنسان نظرة عدوانية، فهو في نظره مناقض تماما لمبادئ السلم العالمية، ولا يصلح لتحقيق هذا المشروع بل هذا الاخير مجرد وهم وزيف « لقد كان

[1] كانط ايمانويل: نحو السلام الدائم، محاولة فلسفية، تر: نبيل الخوري، دار صادر بيرت، لبنان، ط1، 1985، ص:29

[2] المرجع نفسه، ص: 43.

ليبتز في نظره قاسيا حينما كتب يقول: لكن اي سلم دائم يمكن ان نقيمه بين اناس يسمحون وبشكل عمومي بقواعد مضادة اطلاقا لكل مشاريع السلم(...) لم يعد هناك اي حق بين البشر ولا اية عقيدة، ولا اي سلم دائم يمكن ان نتمناه (...) ليس هذا سوى تصنع ولهوغير مجد لحشد من السذج».[3]

ويهدف كانط من خلال مشروع السلام الدائم الى جعل الحلم الفلسفي حقيقة بالارتقاء بالإنسان من حالة الطبيعية الى الحالة المدنية، ليصبح السلم يهدف عام لا خاص يطمح اليه كل مواطن عاديا اومثقفا، رجل دين اورجل حكمة، وليرد به على كل نزعة تشاؤمية تنظر الى الانسان نظرة عدائية ويتصدى لكل سخرية وهزل بهذا المشروع، ولم يكن ليبنز لوحده من سخر من هذه الفكرة بل جان جاك روسوايضا حينما كتب حول مشروع القديس بطرس MR.saintPeter الداعي لإقامة السلام الدائم في اوروبا « وهكذا على الرغم من ان هذا المشروع كان حكيما جدا، فإن وسائل تحقيقه تنبئنا ببساطة المؤلف، لقد كان يتخيل بكل طيبة إنه لا ينبغي علينا سوى عقد مؤتمر سلم واقتراح بنود له يتم توقيعها وكل شيء سيسير حينئذ على أحسن ما يرام، فلتقل ان هذا الرجل النزيه يدرك من خلال مشاريعه حينئذ نتائج الأمور كيفما ستحدث، غير أنه يقدر مثل الأطفال وسائل تحقيقها».[4]

لقد سعى كانط الى نقل إهتماماته بفلسفة الأخلاق الى فلسفته السياسية، ورأى ضرورة التعايش السلمي بين البشرية كافة وإقرار السلام

[3] حنفي مصطفى: النزعة الانسانية وارث الانوار، افريقيا الشرق، المغرب، د. ط، 2014، ص: 121 .

[4] بن شيخة المسكيني أم الزين: كانط راهنا او الانسان في حدود مجرد العقل ، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006، ص:195.

بينهم، والبحث عن السبل لفك النزعات والخلافات بين البشرية كافة خاصة وأن الشر قد إستفحل في صميم ذاتها، فأصبحت تنزع نحو الحروب والقتال، وتتسابق للحصول على أكبر قدر ممكن من الثراء وتميل الى التعصب والعدوانية وهذا السبيل يتمثل عند كانط في الدين الأخلاقي الدين الواحد الصالح للبشرية والصادر عن العقل وعن الإرادة الحرة هو الحل الأمثل لنبذ الحروب وإحلال السلام الكوني « فلو فكرت الدول لأدركت إنها من أجل حياة أمنة ومصانة من اي عدوان والحيلولة دون فناء الثروات البشرية مجبرة على التخلي عن الجميع ضد الجميع، والاستسلام لمنطق الحق والقانون»[5]، فالحرب مهما كان نوعها تتعارض مع الأخلاق وعلى الدول أن تبذل قصارى جهودها لتحقيق سلام عالمي كوني كواجب أخلاقي تلتزم به كل دولة.

ومن أجل تحقيق سلم أبدي قدم إيمانويل كانط في كتابه: نحو السلام الدائم الشروط الممكنة لتحقيقه والمتمثلة في ستة بنود تمهيدية أرفقها بثلاثة بنود نهائية، وتتمثل البنود التمهدية في:

1- « ينبغي ألا تعتبر أية معاهدة صلح على أنها كذلك إذا ما كان اطرافها قد احتفظوا ضمنا اللجوء إلى حرب جديدة»[6]، فمعاهدة الصلح لاتضع حدا للحروب وإنما تعبر عن هدنة مؤقتة بين الدول وتعبر عن عدم تخلي كل من الدول المقيمة للحرب عن عدوانيتها وشراستها ضد الإنسانية والسلام يعني إقامة حد قطعي ونهائي للحروب بحيث لا يمكنها أن تتكرر بأي حال من

[5] المحمودي السيد علي: فلسفة كانت السياسية، الفكر السياسي في حقلي الفلسفة النظرية وفلسفة الاخلاق، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص: 452.

[6] كانط ايمانويل : نحو السلام الدائم، مرجع سابق، ص: 30.

الأحوال « لأن المعاهدة لاتعد معاهدة سلام إلا إذا خلت نية عاقديها من كل أمر من شأنه إثارة الحرب في المستقبل ».[7]

2- « لا يسوغ لأي دولة مستقلة (صغرت أم كبرت)، فهذا لا شأن له في هذا المجال، أن تستحود على دولة أخرى لا بالميراث، ولا بالمبادلة ولا بالثراء، ولا بالهبة»[8]، فالدولة لها شخصيتها وكيانها، حريتها وإستقلاليتها، وليس من حق أي دولة اخرى أن تستخدم مختلف الوسائل كالجيوش للتطاول والعدوان على دولة أخرى، هذا لأن الدولة هيئة سياسية وليست بضاعة تباع وتشترى.

3- « يجب أن تزول الجيوش النظامية كليا مع الوقت »[9] وهذا البند تتمة للبندين السابقين لأن إقامة الجيوش تعلن عن نية الدول والحكام في إقامة الحروب وفي تخوفها من أي عدوان يطالها وهو باعث على إندلاع الحروب وما يتبعها من خسائر مادية، وبشرية معتبرة، وتحويل الإنسان الى ألة تسيير بموجب قوة الدول المسيرة للحروب وحقيقة كهاته تبين فعلا عن رغبة كانط الجامحة في نبذ الحروب لما لها من نتائج وخيمة ولما يترتب عنها من دمار سواء بالنسبة للفريق المنتصر أو المنهزم على حد سواء، فهي أكبر وبالا على الدول والأمم ومصدر لجميع الشرور والفساد الأخلاقي، لكن لا ينبغي إغفال دعوة كانط في القيام بتدريبات عسكرية تطوعية من المواطنين للدفاع عن دولتهم ضد أي هجوم خارجي وينبغي التخلص من الحروب بصفة نهائية والبحث عن سبل التحالف السلمي.

---

[7] خليفة فريال حسن: الدين والسلام عند كانط، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 201، ص: 147.

[8] كانط ايمانويل: نحو السلام الدائم، المرجع السابق، ص:31.

[9] كانط ايمانويل: نحو السلام الدائم، المرجع السابق، ص:32.

4- «لا يحق للدولة اعتماد الاقتراض لتمويل نزعاتها الخارجية»[10]، وفي هذا البند يفرق كانط بين إستخدام المال والثروة لصالح البلاد كتحسين الوضع الإقتصادي، وتحقيق الأمن الغذائي وكل ما يعود عل الدول بالنفع العام وهو أمر محبذ، وبين إستخدام المال النقدي على دولة اخرى وهو أمر منبوذ وغير محمود.

5- « لا يحق لأي دولة من الدول ان تتدخل بالقوة في دستور دولة اخرى ونظام حكمها»[11] فينبغي أن يكون لكل دولة دستورها الخاص كتشريع قانوني يضمن حقوق المواطنين بوصفهم أعضاء متساوون وأحرار فمن أعظم المشاكل التي تتخبط فيها الدول تدخل الدول العظمى خاصة في شؤون غيرها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا... الخ والإمبريالية كأقصى مرحلة من مراحل تطور النظام الرأسمالي أكبر دليل على ذلك، كتدخل و.م.أ في شؤون دولة العراق بإسم تغير النظام السياسي، والدفاع عن حقوق الإنسان والمواطنين وبإسم المنظمات العالمية لحقوق الإنسان، ويسمح لدولة حسب كانط أن تتدخل في دولة أخرى إلا في حالة فك النزاعات والخلافات الداخلية لتلك الدول للحفاظ على إستقرارها ووحدتها، فالسلام الكوني يهدف إلى ضرورة الحفاظ على إستقلالية أي دولة وعدم تبعيتها لأخرى.

6- « لا يحق لأي دولة في حالة حرب مع دولة أخرى أن تسمح لنفسها بأعمال عدائية من النوع الذي يجعل الثقة مستحيلة بينها بعد إستثباب الحرب»[12] ويعطي كانط في هذا البند أمثلة عن أعمال شنيعة من شأنها تحطيم الثقة الكاملة بين البلدين، تكون سببا لحرب إبادية مستقبلا منها

---

[10] كانط ايمانويل: نحو السلام الدائم، المرجع السابق، ص: 33.

[11] المرجع نفسه، ص: 34.

[12] كانط ايمانويل: نحو السلام الدائم، المرجع السابق، ص: 35.

الإغتيال، أو التسميم، أو الخيانة، وكان كانط يريد أن يحافظ على بصيص أمل بين الدولتين لإصلاح العلاقة فيما بينها ولتضميد الجراح ونسيان المآسي، ويضيف كانط إلى هاته البنود الستة التمهيدية ثلاثة بنود نهائية يعتبرها شروطا أساسية وضرورية لتحقيق السلام الدائم.

1- « يجب أن يكون الدستور المدني لكل دولة جمهوريا»[13]، ويرتكز هذا الدستور حسب كانط على ثلاثة مبادئ أساسية إتفق عليها الجميع بموجب العقد الذي تم بينهم وهو الدستور المتضمن لجميع القوانين التي بموجبها يسير الشعب وهذه المبادئ هي:

أ- مبدأ حرية أعضاء المجتمع بصفتهم أناس.

ب- مبدأ خضوع الجميع لقانون وحيد مشترك.

ت- مبدأ قانون المساواة بين الجميع بصفتهم مواطنين.

إن هذا التصور عن الإنسان والحرية والمواطن ينتج تصورا عن طبيعة العلاقات بين الأفراد، وهي تتحدد بإحترام حرية الأفراد بإعتبارها مصدرا لكل حق خارجي وكقانون دستوري يتوجب على الجميع طاعته بصفتهم مشرعين لهذه الحقوق والقوانين، وليصبح التعايش بينهم ممكنا، وتتحدد المواطنة إنطلاقا من مبدأ المساواة بين الجميع في المشاركة في سن القوانين وفي الحياة السياسية وفي طاعة هذه القوانين، إيمانا من كانط بان هذه الحق حق ذاتي قبلي مبني على الارادة العامة وهذا ما يدرج كانط ضمن النموذج الجمهوري الذي يعلق عليه كل الأمال في إقامة مشروعه ويدافع عنه في العديد من النصوص خاصة نص نحو السلام الدائم.

[13] المرجع نفسه، ص:40.

ويعد النظام الجمهوري المرجعية التي من خلالها يمكن للمواطنين إتخاذ القرار حول القيام بالحرب أو رفضها وما دام المطلوب منهم الحكم عن ذواتهم نتيجة المعاناة التي تسببها الحروب وشرورها وما ينجم عنها من دمار وخراب وما تطلبه من أموال طائلة ونفقات عالية، فانه لا محالة سيقع إختيارهم على رفضها ونبذها أما في الدستور غير الجمهوري، فإن القرار يختلف لأن الحاكم ليس عضو في الدولة بل هو فوق القانون ولا يخشى أن يترتب عنها من نتائج لذلك دعى كانط الى مجموعة من « الإصلاحات التي يمكن افتراضها لصاحب السيادة والتي يمكن أن تساعد على تحقيق النظام الجمهوري الذي يؤكد على حرية الفرد وعلى إستقلاله وعلى وضع نهاية للحروب والصرعات ».[14]

ومعنى ذلك أن من يصلح للقيام بمشروع التنوير هو المواطن المدني المستقل، او ما يسميه بالمواطن الايجابي المستقل في وجوده عن اية ارادة خارجية لشخص اخر فهو المالك لنفسه والمعتمد عليها والخادم لدولته بصفته عضوا فيها لا خادما لغيره وهومن له الحق في التصويت عكس المواطن السلبي، الخادم للأخرين الخاضع في معيشته على غيره.

ويراهن كانط على فشل الديمقراطية في تحقيق النظام الجمهوري، لأن كل واحد في ظل النظام الديمقراطي يطمح لأن يصبح سيدا ومن ثم تطغى المصالح الشخصية للسلطة التنفيذية وتقف كعائق إما تنفيذ متطلبات السلطة التشريعية الممثلة للشعب صاحب السيادة والحق في تشريع القوانين لكنه لا يتولى السيادة بل يوكلها الى اشخاص ينوبون عنه ويتكلمون بلسانه

[14] محمود سيد احمد: دراسات في فلسفة كانط السياسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د. ط ، 1991 ص:27.

عن أموره، وانشغالاته، فالسيادة الشعبية ماهي إلا مجرد فكرة، والسلطة التنفيذية تعمل وفق هذه الإرادة، وينطلق كانط من فكرة ان الانسان حيوان اجتماعي بداخله شر جذري ناتج عن استعمال الارادة الحرة وليست له بدايات ومنطلقات طبيعية غريزية « غير ان جذرية الشر لا تعني البتة انه وراثي، اوانه قدري، لان من شان ذلك الغاء اي مسؤولية للإنسان ازاءه، والحال ان هذا الاخير سيظل في نظر كانط دائما هو المسؤول الاول والاخير على كل افعاله طالما انه كائن عاقل حر».[15]

ويختلف كانط في نظرته حول أصل الشر الجذري عن حنا ارنت H. Arendt التي تنظر الى الشر من جانب سياسي، إذ يرجع الى دوافع سياسية ناتجة عن ظلم وإستبداد الأنظمة التوتاليتارية، وهذا لما تعرضت له هي واليهود الألمان من إبادة وقمع إبان الحكم النازي، وجاء مفهومها عن الشر: تفاهة الشر la banalité du mal كنقيض لمفهوم الشر الجذري الكانطي la radicalité du mal ويختلف كانط أيضا عن توماس هوبز الذي يرده إلى طبيعة الغريزية العدوانية للإنسان فهو أناني بطبعه، ولكنهما يتفقان حول ضرورة وجود الدولة والمجتمع المدني الناتجين عن ضرورة إنتقال الإنسان من حالة الحروب الطبيعية إلى حالة النظام والسلام الموجبة لوجود القانون، إذ يجبر كل فرد من أفراد الدولة على إحترامه وطاعته فالمجتمع المدني والدولة ينظمان الحرية حسب قوانين عامة، انه المجال الذي يسمح لكل فرد ان يطور استعداداته وقدراته في اطار ما يسمح به القانون فإمكانيات الفعل الفردية مقيدة بالشكل الذي يمنع التصرف في امكانات الفعل الاخر، بقصد

[15] المصباحي محمد واخرون: من العقل الخالص الى الايمان الخالص، ضمن التأصيل النقدي الحاثة وما بعدها: قراءة في الفلسفة الكانطية، سلسلة الندوات ومناظرات رقم 128، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المغرب، ط1 2005، ص: 73.

القضاء على الحرية الهمجية وامكانات الفعل المتوحشة التي لا تخضع لقانون العقل. فكانط مثل « هوبز يدرك الشقاق بين افراد البشر في حرب الجميع ضد الجميع، على أنه الباعث الرئيسي والمحرك من أجل إقامة مجتمع مدني ومنطقيا تتوافق وجهة النظر هذه مع فرضية ان التاريخ هو العملية التي يصبح الإنسان فيها عاقلا».[16]

وإذا كانت الديمقراطية تجعل النظام الجمهوري مستحيلا، مادامت الاغلبية تصنع القرار وتتخذه والاقلية تخضع له فان النظام الملكي هو افضل نظام لتحقيق الدستور الجمهوري رغم انه يؤدي الى حكومة استبدادية، والحل هو اصلاح الملك وقوته ومنع كل أسلوب يجعله مستبدا ويتفق كانط مع جون جاك روسوفي ان الديمقراطية نظاما استبداديا، وأن النظام الامثل هو النظام الذي يقوم على سيادة الشعب وارادته العمومية. «اذا ما عد اناس كثير انفسهم هيئة واحدة لم يكن لهم ما داموا هكذا غير ارادة واحدة تناسب حفظ الجميع والسعادة العامة، وهنالك تكون نوابض الدولة كلها قوية، بسيطة وتكون مبادئها صريحة ساطعة».[17]

2- وعن البند الثاني لتحقيق السلام انه: «يجب ان يتأسس حق الشعوب على اتحاد دول حرة».[18]

إن الطبيعة الشريرة للإنسان، والميل الى الانفراد والعزلة من شأنه أن يدفع إلى التساؤل عن كيف الانتقال من اللاإجتماع إلى الإجتماع؟ ومن حالة

---

[16] عطية احمد عبد الحليم: كانط وانطولوجيا العصر، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص:335.

[17] روسوجان جاك: العقد الاجتماعي او مبادئ الحقوق السياسية، تر: عمر زعيتر، مكتبة ابن سينا، القاهرة مصر، ط1، 2004 ص: 140.

[18] كانط ايمانويل: نحوالسلام الدائم، مرجع سابق، ص: 47.

الصراع المتولدة عن أنانية الانسان إلى حالة السلم؟ وكيف يمكن وضع حد للحروب بين الدول ما دامت الحرب وسيلة في الحفاظ على سيادتها وأمنها ضد أي عدو، إن الحل في نظر كانط يكمن في إقامة نظلم حقوقي داخلي وخارجي بين الدول بحيث يقوم هذا الحق بتدبير الصراع بين الدول والشعوب والخروج من حالة الفوضى والهمجية الى حالة اكثر تمدنا وتحضرا ويتحقق هذا الهدف عن طريق تحالف سلمي وهو يختلف عن معاهدة السلام لأن الغرض من الأول إلغاء وإنهاء الحرب بشكل قطعي اما الغرض من الثاني هو انهاء الحرب لفترة مؤقتة « فكرة الاتحاد هذه التي ينبغي ان تتسع تدريجيا لتشمل جميع الدول، امر قابل للتصور، اذ لو حصل من حسن الحظ أن انتظم أحد الشعوب القوية، والمستنيرة في الجمهورية (ومن طبع الجمهورية ان تنزع تلقائيا الى السلام الدائم) لينشأ بفضل ذلك قطب للتحالف الاتحادي، تتمكن الدول الأخرى من الانضمام اليه توخيا لتأمين حريتها انسجاما مع فكرة حق الشعوب».[19]

ويهدف كانط من وراء تحالف الشعوب أوما يسميه بكنفيدرالية الدول أو الشعوب الى تحقيق الشكل الامثل للتجمع، ولضمان تواصل الأفراد وتحاورهم على النحوالذي يسهم في تحقيق التفاهم والإتفاق بينهم والمساهمة الإيجابية في الإرتقاء بالحياة الإنسانية الى ما هوأفضل وتشيد حضارة خادمة للإنسان، وهذا من أهم المطالب المرتبط بتحقيقها بوجود الدولة أي الإنتقال من المجتمع الطبيعي الى المجتمع المدني شريطة أن يضمن هذا الإنتقال التوازن بين الحرية الفردية والحرية الجماعية والحفاظ على حقوق الأفراد وحرياتهم في إطار قوانين تعمل على تنظيمها وليست هذه

[19] كانط ايمانويل: نحوالسلام الدائم مرجع سابق، ص ص: 50_51.

المطالب وهذه الأهداف غير قابلة التحقيق في نظر كانط، وإنما هي واجبة التحقق وعلى الدول وقادتها اتخاذ كل الاجراءات والاليات التي تمكنهم من تحقيق سلام كوني« فهو لم يعمل على اختزال سعادة البشر في قوالب فلسفية ترتمي في عالم المثل خارج وارداتهم وانما حاول تجسيدها في عالمهم الواقعي عن طريق مشاركة حقيقية في اختيار المصير، وهي السعادة التي لا يمكن ان تكون شيئا اخر سوى بلوغ السلام الكوني »[20]، وهكذا تتحقق أفضلية الحياة الانسانية في ظل سياسة كونية عبر الزمن ويغدو الحاضر أفضل من الماضي والمستقبل أفضل من الحاضر، وتخلق الإعتراف بوجود البشر مهما تنوعت واختلفت ديانتهم وعقائدهم وثقافتهم ولغتهم وانتمائهم الى عالم واحد وكون واحد.

وتختزل الكونية الكانطية كل خصوصية مهما كانت كونية القانون والحق العالمي كحق ذاتي، ذلك أن الحق الكون يستمد مشروعيته من الذات وإذا إستطاع الإنسان أن يخرج الى الاجتماعية الاجتماعية أي من حالة الطبيعة الى حالة التمدن، وتمكن من تحرر والتخلص من العنف والقوة والهمجية، فانه بإمكانه أن يضع حدا للحروب وانتهاكاتها وسلب الحرية والقضاء على كل اشكال الخراب والظلم والتعسف بتحقيق إتحاد دولي عالمي، وإرساء دعائم السلام الكوني، فمن السلم المحلي إلى تحقيق السلام الشامل لجميع الدول المنضوية تحت الدستور الجمهوري لكن كيف يمكن الإنتقال من الوضع المحلي الى الوضع العالمي؟ وكيف يمكن تحقيق إتحاد الدول في ظل التعدد الثقافي والعقائدي وفي ظل ما تشهده الدول من اختلافات على غاية التعقيد؟ وهل بالإمكان تحقيق هذه الوحدة؟

[20] بلكفيف سمير: التفكير مع كانط ضد كانط، مساهمة في نقد النقد، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الامان المغرب، ط1 2014، ص: 126.

إن ما يسمح بتحقيق هذه الغايات المراد تحقيقها من خلال مشروع السلام الدائم هو إقامة دستور عالمي، ومواطنة عالمية فالدستور العالمي هو الميثاق أو القانون العام الذي يسير بموجبه جميع الأفراد بصفتهم مواطنين في العالم، ويعمل على تنظيم العلاقات فيما بينهم داخل دولهم وخارجها، وكذا إرساء دعائم العلاقات السلمية بين الدول ولتقوية هذه العلاقات وضمان استمراريتها وتجدرها، أولى كانط الدستور أهمية كبرى في ضمان الحق العالمي « لم تعد فكرة الحق العالمي تعتبر مفهوما وهميا ومتطرفا للحرب، انما غدت الحرب، تتمة ضرورية لهذا الميثاق غير المكتوب الذي يتضمن الحق المدني وحق الشعوب وينزع باتجاه الحق العام للبشر إجمالا، وبالتالي يتطور باتجاه السلام الدائم الذي يستطيع البشر أن يعدوا انفسهم به بشر واحد هو أن يستمروا في التقارب ».[21]

وترتبط السياسة العالمية لكانط بالمواطنة العالمية، المؤسسة للوطن الأخر، وتسعى الى تحقيق قيم بشرية كونية، فالمواطنة العالمية هي سمة المواطن العالمي، المتجاوز لكل ما هو قومي وثقافي ومحلي الى ما هو عام وبعد وطني لمشاركة الاخر في إختلافه وتنوعه، إنها فنا للعيش ولتدبير العلاقات الانسانية المبنية على الحس المشترك، هذا الحس الذي يخلق فضاء عموميا مشترك، يتقاسم فيه المواطنون اراءهم ومتطلباتهم، ويتعامل فيه المواطنون جميعا بموجب نزعة انسانية أساسها التواصل وهدفها التخلي عن اي تعامل مع الاخر بصفته عدوا وبالتالي « فإن مفتاح المبدأ الذي تقوم عليه الدولة

[21] كانط عمانوئيل: نحو السلام الدائم مرجع سابق، ص: 56.

المواطنة الكونية التي تهدف الى تحقيق سلم دائم، سيكون بحسب كانط مبدا العمومية ».[22]

3- وعن البند الثالث النهائي المقترح لتحقيق السلام العالمي: « يجب أن يقتصر الحق العالمي على إبتكار شروط حسن الوفادة العالمية »[23]، أو ما يسمى بحق الزيارة باعتبارها حقا من حقوق مواطني العالم وليست من باب العطف والإحسان ويبنى حق الزيارة على حسن استقبال الزائر بالدولة التي حل بها وبتوفير الأمن وتقديم له الحماية والمساعدة لكن حسن المعاملة لا ينبغي ان تكون إلا إذا إلتزم الزائر بشروط وهي ان يكون مسالما فيلتزم بالسلوك السلمي اين ما كان، وان تعامل كل الدول الزوار بالمثل وهوان يعلم ان حقه مقصور فقط على حق الزيارة لا غير، مادام يشترك مع الكل في ملكية الارض وبهذا يمكن للبلدان أن تتقارب وتتحد فيما بينها « وبهذه الطريقة يصبح بإمكان المناطق البعيدة عن بعضها أن تعقد علاقات صداقة فيما بينها، مما يؤول الى أوضاع رسمية وشرعية، ومما يتيح للجنس البشري أن يقترب من الوحدة العالمية تدريجيا».[24]

ومن شروط السلام الدائم ومن بنوده نستطيع أن نتبين قوة الفلسفة السياسية الكانطية وحضورها في فلسفات اخرى لفلاسفة من عصره أو من غير عصره من ألمانيا وأمريكا، إذ شكلت فكرة الدولة العالمية باعثا على تنظيم شكل سياسي شمولي، تستطيع البشرية ان تتوحد من خلاله بناءا على الحق الكوني والمواطنة العالمية، وإستثمر العديد من الفلاسفة خلاصة وزبدة الأفكار الكانطية المرتبطة بالسياسة الكونية من

[22] حنفي مصطفى: النزعة الانسانية وارث الانوار، افريقيا الشرق، المغرب، د.ط ، 2014، ص: 129.
[23] كانط عمانوئيل: نحو السلام الدائم، المرجع سابق، ص:53.
[24] كانط عمانوئيل: نحو السلام الدائم مرجع سابق، المرجع نفسه، ص: 54.

هؤلاء جون رولز، حنا أرندت، ويورغن هابرماس، الذي يرجع له الفضل في إعادة تفعيل، واحياء هذه الافكار وتنشيطها وفق ما يتطلبه العصر ومن هنا وجب علينا ان نتساءل هل للمشروع الكانطي حول السلام وحول الدولة العالمية ما يبرره واقعيا؟ ام انه مجرد فكرة يأمل لها كل فيلسوف؟.

يعد مشروع السلام الدائم مساهمة هامة في فلسفة التنوير، ولقد استقطب اهتمام مؤرخي القانون اكثر من غيرهم ذلك ان تحقيقه يفترض الانتماء الى الدستور المدني، واحترامه بوصفه المنظم للعلاقات بين الدول، ومن الدستور المدني الى الدستور الكوني، الجامع لجميع مواطني العالم، فالقانون في نظر كانط هو وسيلة المثلى لتجاوز الحدود والولوج ضمن الإتحاد الكوني بناءا على معيار أخلاقي لحماية الإنسان من الحروب والجرائم ويمكن القول أن عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة، وكذا مؤتمر جنيف وغيرها من المنظمات العالمية من أهم النتائج العملية الملموسة لهذا المشروع « ويعد تأسيس عصبة الأمم تبلورا لجميع المواثيق والمعاهدات واللوائح الخاصة بالسلام في العلاقات الدولية وباتجاه حفظ السلام والحضارة في العالم».[25]

ولقد حازت الرؤية الكانطية لتأسيس الدولة العالمية على أساس الحق الكوني، على قيمة مثلى، فالحق الكوني هو الأمل المنشود لإحلال السلام الدائم بين الشعوب على اختلاف اجناسهم وثقافتهم، وهوما يجعل هذه الفكرة تتجسد من خلال حق الزيارة والضيافة وكذا الإتفاقيات الدولية التي تتقارب بمقتضاها مختلف الشعوب، غير أنه يمكن تقديم اثبات لما يعارض هذه الفكرة من خلال إتحاد الدول العظمى اليوم شعار حقوق الإنسان،

[25] المحمودي السيد علي : فلسفة كانت السياسة، الفكر السياسي في حقلي الفلسفة النظرية وفلسفة الاخلاق، مرجع سابق ص ص: 457 _ 458.

والمنظمات العالمية الداعية للسلام كذريعة لممارسة الهيمنة والسلطة والتدخل في شؤون الخاصة للدول المستضعفة وإتحاد الدول العظمى أيضا مثل الو.م.ا وفرنسا وبريطانيا من شعار حقوق الإنسان سلاحا لإنصياغ أمم وشعوبا اخرى لها.

خاتمة :

لا يمكن إغفال قيمة المشروع الكانطي شريطة تحقيق السلام بالأخلاق وبالمواطنة يسهم في تفعيل قيم التربية وفي تحقيق التعايش السلمي لكن وفي الحالات، فان تحقيق السلام الكوني تعترضه عقبات ذلك أن فكرة اتحاد الشعوب الكانطية هي فكرة سياسية لا غير ترتكز على دور الدستور والقانون ولم تأخذ بالحسبان عوامل اخرى كالعامل الاقتصادي والثقافي ومثل هذا الطموح يصبح مستعصيا في ظل هيمنة النزعات العرقية والقومية، وفي ظل ظاهرة العولمة وما ينجر عنها من اطماع الدول العظمى واستئثارها بخيرات الدول الصغرى وبناءا على هذه الاسباب وغيرها، لا بد من اعادة قراءة مشروع السلم الكانطي قراءة جديدة في ظل المعطيات الجديدة للعصر، وهو الاهتمام الذي شد اليه هابرماس من خلال طرحه لفكرة السلم والدولة الكونية، محاولا الاستفادة من الافكار الكانطية تارة وناقدا لها تارة اخرى، فما هو الجديد المتوخى من خلال هذه القراءة؟ وكيف عالج هابرماس فكرة السلم الكوني والدولة الكونية بشكل يتلاءم مع ما هوراهن؟ وبلغة دولوزية: كيف استطاع هابرماس ان ينتشل مشروع السلام الدائم الكانطي ليلقي به في مسطحات محايثة غير مماثلة لمسطحات محايثة سابقة وما الذي سيجنيه من هذا المشروع؟

قائمة المصادر و المراجع :

المراجع باللغة العربية :

أ- الكتب :

1- بلكفيف سمير: التفكير مع كانط ضد كانط، مساهمة في نقد النقد، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الامان المغرب، 2014

2- بن شيخة المسكيني أم الزين: كانط راهنا او الانسان في حدود مجرد العقل ، ط1،المركز الثقافي العربي، 2006

3- حنفي مصطفى: النزعة الانسانية وارث الانوار،د ط، افريقيا الشرق، المغرب، 2014.

4- خليفة فريال حسن: الدين والسلام عند كانط، ط1،مصر العربية للنشر والتوزيع ، 201.

5- روسوجان جاك: العقد الاجتماعي او مبادئ الحقوق السياسية،ط1،تر: عمر زعيتر، مكتبة ابن سينا، القاهرة مصر، 2004.

6- عطية احمد عبد الحليم: كانط وانطولوجيا العصر، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2010.

7- كانط ايمانويل: نحو السلام الدائم، محاولة فلسفية، ط1 تر: نبيل الخوري، دار صادر بيرت، لبنان، 1985.

8- محمود سيد احمد : دراسات في فلسفة كانط السياسية، د. ط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1991 .

9- المحمودي السيد علي: فلسفة كانت السياسية، الفكر السياسي في حقلي الفلسفة النظرية وفلسفة الاخلاق، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2007.

10- المصباحي محمد واخرون: من العقل الخالص الى الايمان الخالص، ضمن التأصيل النقدي الحاثة وما بعدها: قراءة في الفلسفة الكانطية، سلسلة الندوات ومناظرات رقم 128،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المغرب، 2005.